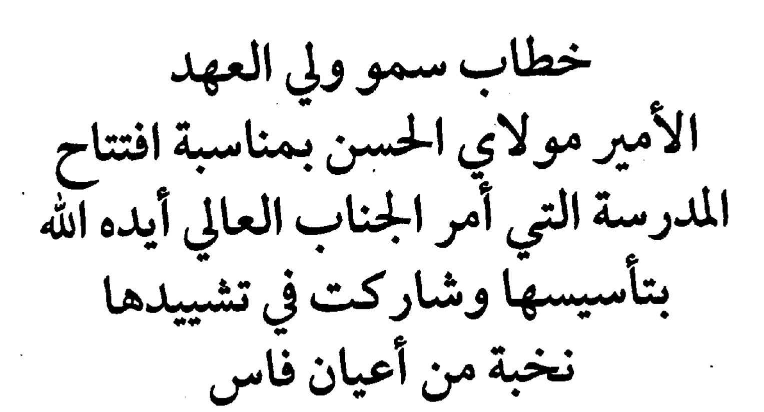


خطاب سمو ولي العهد الأمير مولاي الحسن بمناسبة افتتاح المدرسة التي أمر الجناب العالي أيده الله بتأسيسها وشاركت في تشييدها نخبة من أعيان فاس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

سيدي الهمام الأكرم أيها السادة الأجلاء

قرر علماء الاقتصاد ان خير رأس مال الانسان ـ العمل ـ لا العمل المنقطع المذبذب . ولاكن العمل المتواصل المرتب . لذلك ندبنا اليه سبحانه في كتابه المكنون ، على لسان نبيه الذي يستنير بهديه المهتدون ، فقال عزت قدرته ـ « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون . وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » ثم هدانا جل جلاله في سلوك احسن السبل الى ذلك العمل فقال : « ولكم في رسول الله اسوة حسنة » وكيف كان عمل قدوة المصلحين صلى الله عليه وسلم ؟ ارسله ربه رحمة للعالمين يهدي الى الصراط السوي ، بالارشاد المنير القوي ،



يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة - فطهرهم من ادران الشرك ومهالك الغواية ، وسلك بهم مسالك الرشد ومناهج الهداية ، يزيح عنهم معايب الضلال ، وينكب بهم معاطب الشرك والجهل ، وينشر فيهم محامد الخلال ، ليؤسس بهم حضارة العلم والاحسان والعدل ، وما تم ربع قرن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم حتى عم الاسلام جل اقطار المعمور - الرشد سنته ، والعدل قوته ، ونشر المعارف بين عامة الناس عدته ، وتيسير السعادة للعباد محجته ، من اقصى الهند الى وسط اوربا عمت كلمة التوحيد ، ومبدأ الاخوة الحقة والانسانية السمحة في انتشار وترديد ، يتبارى الناس في سبل البر والاحسان ، ليسمى بالتآزر في مناهج السعادة كل بني الانسان ، ثم اخذ المسلمون ينقلون ما وجدوه من العلوم عند غيرهم يدونونه ليحسنوه ، فتفننوا فيه بعد ما اتقنوه ، واخترعوا علوماً جديدة كالجبر والكيمياء وتقدموا في علمي الطب والفلك تقدماً انزلهم في اعلى درج المخترعين ، وفي الصف الاول من رتب المتمدنين ، برعوا في الجراحة حتى كانت النساء بالاندلس يباشرن كثيراً من العمليات الجراحية لغيرهن من



الاثاث ، وأتقنوا علم تقويم البلدان حتى ان اول كرة ارضية صنعت في الوجود هي التي صنعها الشريف الادريسي محمد بن محمد الصقلي في القرن الخامس لروجير الفرنجي ملك صقلية؛ وكانت تلك الكرة من الفضة زنتها ١٤٤ اوقية والشريف الادريسي المذكور هو الذي الف كتاب نزهة المشتاق في احتراق الآفاق . قال بعض المؤرخين من الأفرنج : « ان العرب استقاموا عدة قرون على الطريق التي وضعها علماء مدرسة بغداد النظامية واتبعوا قواعدهم وهي الانتقال من النظر في المسببات الى اجتلاء الاسباب ، لا يعولون الا على ما اتضحت صحته وعرفت حقيقته الى ان قال : وازدانت بمدارسهم بغداد والبصرة والكوفة وبخارى وسمرقند وبلخ واصبهان ودمشق وحلب في آسيا، والاسكندرية والقاهرة والقيروان وتونس وبجاية وتلمسان وسبتة وفاس ومراكش في افريقيا، واشبيلية وقرطبة وغرناطة وغيرها من مدن الاندلس العديدة في اوربا . وكان بالقاهرة عشرون مدرسة في القرن الرابع، وفي قرطبة وحدها من بلاد الأندلس ثمانون مدرسة في عهد الحكم بن عبد الرحمن الناصر المتوفي سنة ست وستين وثلاثمائة ، قال جيون في حماية



المسلمين للعلم في الشرق والغرب : ان ولاة الاقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء في اعلاء مقام العلم والعلماء وبسط اليد في الانفاق في اقامة بيوت العلم ووجدان اللذة في تحصيله انتشر في نفوس الناس من سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة ـ انفق وزير واحد لاحد السلاطين وهو نظام الملك مائتي الف دينار (ما يساوي عشرات من الملايين اليوم) على بناء مدرسة في بغداد . وجعل لها خمسة عشر الف دينار تصرف في شؤونها كل سنة ، وكان الذين يغذون بالمعارف فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن اعظم العظماء في المملكة وابن افقر الصناع ، غير ان الفقير ينفق عليه من الريع المخصص للمدرسة ، وابن الغني يكتفي بمال ابيه ، والعلماء ينفذون اجوراً وافرة . انتهى كلام جيون . هذه اسطر من مجلد ما قام به سلفنا الطاهر من مخلد المآثر . فما ذا فعلنا نحن بعدهم ؟ ما تقشعر منه جلود الأحرار، ويندى له جبين ذوى الضمائر والاعتبار، اخلدنا الى تراثهم ناكله اكلاً لماً، وانزوينا الى الخمول نوثر الكسل ونحب الاتكال حباً جماً ، بلغ بنا التخاذل حتى صرنا نعتقد ان تعليم الشباب آفة ، وان من حرمة المرأة ان تنزوي في كسر بيتها مع شر



العوائد متكاثفة ، ولجيوش الجهل والخسران محالفة . بلغ بنا الشقاء ان العظيم منا من ينفق الملايين في شهواته البهيمية يباهي بالتبذير في سبيل الشيطان ، ويفتخر بالانفاق في مهاوي العصيان . بنى سلفنا الصالح المدارس فصارت تتهدم ولا من تاخذه الغيرة فيسارع الى اصلاحها، وأسس آباؤنا الأمجاد انفع المشاريع فعوضاً عن الزيادة فيها رجعنا عليها نهدم من بنيانها وندخل اسباب الانقراض على كيانها؛ لا بالعلم النافع نجاري الأمم ولا للعمل المنتج نسارع لنتقدم. وكذلك فاضت على حضارتنا سيول الفساد، وأبادت سعادتنا مبيدات البدعة والجهل والعناد ، حتى انه لما اراد سيدنا المنصور رتق حالنا وأمر بتجديد نظام القرويين لاحياء مهجته وتكثير نتيجته وجد ايده الله اشد المعاكسة في من كان يجب عليه ان يعينه بعلمه وعمله ، على ان ذلك لم يثن من عزمه القوي بل سار نصره الله قدماً في سبيل الاصلاح حتى بدت للناس نتائجه ، وزاد اعتناءه بتأسيس مشاريع الفلاح حتى ظهرت ثمرات العمل الصالح ومباهجه ، وبذلك السعي الحميد والموقف المشكور الرشيد اخذت بذور الانتشار تنبت باذن ربها تتولى يد العناية سقيها لتوتي اكلها



كل حين في مصلحة البلاد وسعادة شعبها الكريم. فافتقدت الأمة سلطانها المحبوب المفدى في سعيه المنتج وصارت تعينه فيما تستطيع من صالح الأعمال التي يتسابق اليها ذوو الغيرة من الرجال. ولا دليل على اشراق شمس الفلاح اكبر من هذه المدارس التي يؤسسها الشعب المغربي لتكثير وسائل الثقافة؛ سعدت سطات ومراكش والبيضاء ومكناس والرباط بمدارسها وهذه نوبة العاصمة الادريسية تتيه اليوم زهواً بغيرة بعض اهل النجدة من سكانها العاملين المشهورين بعظيم اخلاصهم في المشاريع الاحسانية العامة، فادركوا باعانة الباشا الحازم النشط تيسير تأسيس هذا المعهد الجديد باشارة من مولانا الهمام الذي شارك فيه مشاركة قوية من ماله الخاص، مقوياً نصره الله تبرعاتهم ومشجعاً قوة مجهوداتهم، فجاء يشرف بذاته الكريمة حفلة افتتاح هذه المدرسة التي طلبت لجنتها ان تتشرف باسمه الكريم، وستكون بها زيادة بناء لينمو عدد تلامذتها ويزيد اشراق نجم هدايتها. وستؤوي البنين والبنات لتسعدهم دنيا وأخرى بما يطمح اليه المومنون والمومنات، فخراً خالداً لك ايتها العاصمة الزهراء وشكراً لنخبة سكانك العاملين ليزهروا مجدك



المنير ، ويهذبوا شبابك الطاهر ليعدوه ان يعمل بعد ثقافته لعلو ذكرك بين الأمصار ، ورفع قدرك السامي بين العواصم الكبار ، ويسرنا في هذه المناسة ان نتشكر شكراً جماً من ذي الهمة الغيور التاجر احمد بن الحاج محمد بن كيران الذي تفضل ببقعة من الارض ليبني بها مدرسة اخرى يشرفها الجناب الشريف ايده الله بوضع حجرة اساسها عشية اليوم ، فبمثل هذه المحامد تفتخر الأمم الراقية وبهذه المناقب تسعد الأوطان الزاهية - واليكم مأثورة تدلكم على نتائج العلم اذا ما اخلص الناس في طلبه وسلكوا اليه وسائل تحصيله : لما منع الاسترقاق في اميركة سمع احد زنوجها بافتتاح المدرسة الوحيدة التي تقبل الزنوج للتعلم ، ولاكنها تبعد عن المحل الذي كان يعيش فيه بثمانمائة كيلو متر ، فارق امه وأخاه واحتمل اشد الصعوبات في السفر ، وقطع تلك المرحلة القصوى حتى بلغ المدرسة فدخلها خادماً متعلماً ، ولما حصل على الشهادة بعد ما يعلم الله وحده ما قاساه من التعب والألم في سبيله ، اخذ على نفسه ان يقف حياته على تعليم بني جنسه الزنوج ، فشرع في ذلك العمل بجمع المال بكل ما يستطيعه من الوسائل ليؤسس معهداً للتعليم



وبعد عشرين عاماً من بذل جهود تخر لعظمتها الجبال اسس بمليونين ونصف معهده الذي امكنه ان يؤوي الفاً وأربعمائة تلميذ بين ذكور واناث يستلزم تعليمهم صائراً قدره نصف مليون في السنة فما كانت نتيجة عمله بعد مضي عشرين عاماً اخرى اي بعد ما شرع في التعليم بأربعين عاما ؟ ؟ كان من نتيجته ان تخرج من اولائك الزنوج الفان من الممثلين في المسارح وخمسون من مهندسي البناء ومائتان وستون من المصورين الفنانين مائة منهم من جنس النساء وثلاثمائة من الكتاب والكاتبات ومائتان من الصيدليين والف من مديري المدارس والمديرات والف من اطباء الأسنان والطبيبات والف من رؤساء المحاكم وأربعة آلاف طبيب وطبيبة بين جراح وغيره ومائتان من المهندسين الكبار ذوي الشهادة العليا في الفن وأربعة آلاف من المرضين والممرضات. كان من نتائج عمل واشنطون بوكير الزنجي ان ثروة بني جنسه كانت يوم تأسيس معهده ثلاثمائة مليون فصارت بعد جهود عشرين عاماً ملياراً وسبعمائة مليون من الدولار وبلغ ما ينفق اولائك الزنوج في تعليم بنيهم وبناتهم اثنين وثلاثين مليوناً من الدولار في كل سنة. واليكم بياناً آخراً يدلكم على



بذل الناس اقصى الجهود في سبيل التعليم . اجتمع اخواننا مسلمو الهند سنة (١٣٢٦) ست وعشرين وثلاثمائة والف في حيدراباد لانشاء جمعية لتعليم ابناء المسلمين فتقدم شاب لا يجاوز العشرين من عمره فقال : لقد توفي والدي هذه السنة وترك لي ثروة عقارية قدرها عشرون مليوناً من السكة الهندية ومثلها من النقود واني اتبرع للجمعية بكل مالي العقاري والنقدي وبكل ثيابي التي ترونها علي وزيادة على ذلك فاني اتبرع للجمعية بنصف يومي كاتباً لها مجاناً والنصف الآخر يكفيني لأسعى فيه للقيام بقوتي ـ هكذا يجتهد الرجال ـ هذه والله صالحات الأعمال ـ فلمثل هذا فليعمل العاملون وفي هذه الجهود يتنافس المتنافسون .

تعلمون كلكم كيف كان اخواننا المصريون وجيرانهم الشاميون في القرن الماضي لا يغيب عنكم ما بذلوه من النفس والنفيس حتى تخرج منهم ما تعلمون من العلماء الاجلاء في كل الفنون وكم عندهم من مهرة الأطباء المباشرين والمهندسين المتفوقين وأرباب الأموال المتبرعين في كل سبل الاحسان فماذا تنتظرون لتخوضوا لجج الجد والعمل وتقتحموا بحار الاجتهاد في النهوض بالأمة بتعليم بنيها وبناتها حتى



نرى الآلاف من اطبائنـا ومهندسينا ومديرينـا وأرباب المعامل الصناعية الكبرى ومباشري الفلاحة بالطرق الوقتية الجديدة؟ انبقى هكذا عالة على الناس يتقدم غيرنا ونحن نرمي بأنفسنا القهقرى حتى نصبح اجانب في وطننـا وغرباء في اوطاننـا ؟ عمروا مدارسكم بالمتعلمين وألزموهم المواظبة في التحصيل ووجهوا نخبتهم الى الخارج كي يرجعوا للمغرب بأنوار العرفان ووسائل التقدم بين بني الانسان. اسلكوا سبل العلم المنتج متكاتفين متآزرين فالفرد قليل بنفسه كثير باخوانه . أتعلمون ان المغرب لو انفق سكانه المسلمون برمتهم فرنكاً واحداً في السنة امكنهم ان يبعثوا بها مائتين من شبانهم للتعليم في الخـارج ؟ ولا تمضي عشرون عاماً حتى ندرك مـا ادرك الناس بل اكثر مما ادرك الناس ، لأن المغربي قـد وهبه الله من الذكاء ما جعله في الصف الأول من الناجحين في طليعة البارزين . اترضون ان يتقدم كل افراد البشر بالعمل والعرفان بينما نتأخر وتلعب بنا امواج الخمول واليأس ؟ أترضون ان نكون في اخريات المتقدمين بين بني الانسان والله تعالى يقول : كنتم خير امة اخرجت للناس ؟ كلا ثم كلا فهذا سيدنا الامام يحمل بيمناه العزيزة



راية الفلاح بالعاملين الناصحين من امته، وجهود مولانا الهمام تضمن ادراك مدارج الفلاح للمجتهدين المخلصين من رعيته، يرشدكم بسديد الأعمال وينصحكم برشيد الأقوال ليفتخر بكم المغرب في حاله ومآله فامتثلوا اوامره لتفوزوا في حلبة الاجتهاد واقتفوا مناقبه ومآثره ليعظم ذكركم ويعلو مجدكم بين العباد حتى اذا طابت بمفيد السعي الذ الثمار وجنت نتائج العمل الصالح يد الأحرار رددوا حمد من يوفق العباد لسلوك نهج المفلحين، وتلوا في لذة الادراك ونعمة الشكر - ونعم اجر العاملين.

الاثنين حادي عشر ذي القعدة عام ١٣٦٥
الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٦